



الكرسي الرسولي

عظة قداسة البابا فرنسيس

بمناسبة عيد الغطاس (الذبح)

06 يناير / كانون ثاني 2015

في بازيليك القديس بطرس

[Multimedia]

ذاك الطفل المولود في بيت لحم من العذراء مريم لم يأت فقط من أجل شعب إسرائيل الممثل برعاة بيت لحم، وإنما من أجل البشرية بأسرها، الممثلة اليوم بالمجوس، القادمين من الشرق. وحول المجوس ومسيرتهم بحثًا عن المسيح تدعونا الكنيسة اليوم للتأمل والصلاة.

هؤلاء المجوس القادمون من الشرق هم في طليعة تلك المسيرة الكبيرة التي حدثنا عنها النبيّ أشعيا في القراءة الأولى (را. 60، 1-6): مسيرة لم تتوقف أبدًا منذ ذلك الحين، وتُعترف عبر الدهور برسالة النجم وتجد الطفل الذي يهديننا إلى حنان الله. هناك دائمًا أشخاص جدد يستتبرون بنور نجمه ويجدون الدرب ويصلون إليه.

كان المجوس، بحسب التقليد، رجال حكماء: يدرسون الكواكب ويسبرون السماء في إطار ثقافي ومعتقدات تنسب للنجوم معان وتأثيرات على الأحداث البشرية. يمثل المجوس الرجال والنساء الذين يبحثون عن الله في ديانات وفلسفات العالم كله: بحث لا ينتهي أبدًا. رجال ونساء يبحثون.

إن المجوس يدلوننا على الدرب التي نسير عليها في حياتنا. لقد كانوا يبحثون عن النور الحقيقي. نرسم في نشيد ليتورجي لعيد الذبح "النور يتطلّب نورًا" للإشارة إلى خبرة المجوس؛ "النور يتطلّب نورًا". فهم بإتباعهم لنور كانوا يبحثون عن النور. لقد كانوا يبحثون عن الله. رأوا علامة النجم، فسروها وانطلقوا في السير، وقاموا بسفر طويل.

إن الروح القدس هو الذي دعاهم ودفعهم للانطلاق في المسيرة؛ وفي هذه المسيرة أيضًا سيتم لقاءهم الشخصي بالإله الحقيقي.

واجه المجوس خلال مسيرتهم العديد من الصعوبات. عندما وصلوا إلى أورشليم ذهبوا إلى قصر الملك، لأنهم يعتبرون أنه من الطبيعي أن يولد الملك الجديد في القصر الملكي. هناك أضاعوا النجم - وكمن مرة يضع مَن النجم؟ - وواجهوا تجربة من قبل إبليس: إنها مكر هيرودس واحتياله. فهيرودس الملك أظهر اهتمامًا بالطفل، ولكن لا ليسجد له بل ليقتله. هيرودس هو رجل السلطة الذي يرى في الآخر عدوًا وخصمًا فقط. وفي العمق هو يعتبر الله خصمًا، لا بل الخصم الأكثر خطورة. في القصر مرّ المجوس بلحظة ظلام وبؤس ولكنهم تمكنوا من تخطيها بفضل إلهامات الروح القدس الذي تكلم من خلال نبوءات الكتاب المقدس التي تشير إلى أن المسيح سيولد في بيت لحم، مدينة داود.

عندها استعادوا المسيرة وأبصروا النجم مجدداً: يكتب الإنجيلي بأنهم "فَرَحُوا فَرَحًا عَظِيمًا جِدًّا" (مت 2، 10)، تعزية حقيقية. وعندما وصلوا إلى بيت لحم، وجدوا "الطفل مع أمه مريم" (مت 2، 11). وبعد تجربة أورشليم، كانت هذه بالنسبة لهم التجربة الكبيرة الثانية: رفض هذا الصغر. ولكن: "جثوا له ساجدين" وقدموا له هداياهم الثمينة والرمزية. إنها نعمة الروح القدس التي تعضدهم على الدوام: تلك النعمة التي، وبواسطة النجم، دعتهم وقادتهم عبر المسيرة، تُدخلهم الآن في السرّ. فبواسطة النجم الذي اصطحابهم عبر المسيرة، دخلوا في السرّ. وابتاعهم للروح القدس عرفوا أن معايير الله تختلف جداً عن معايير البشر، وبأن الله لا يظهر نفسه من خلال سلطان هذا العالم، بل يتوجّه إلينا بتواضع محبته. محبة الله هي عظيمة، نعم. محبة الله هي قادرة، نعم. ولكن محبة الله هي متواضعة، في غاية التواضع. هكذا فالمجوس هم مثال الارتداد للإيمان الحقيقي لأنهم آمنوا بطيبة الله ولا بتألق السلطة الظاهري.

لذا يمكننا أن نسأل أنفسنا: ما هو السرّ الذي يختبئ الله فيه؟ أين يمكنني أن ألتقيه؟ نرى من حولنا حروب واستغلال للأطفال، تعذيب وإتجار بالأسلحة والأشخاص... في جميع هذه الأمور، وفي كل هؤلاء الإخوة والأخوات الصغار الذين يتألمون بسبب هذه الظروف، نجد يسوع (را. مت 25، 40. 45). تقدم لنا المغارة درباً مختلفة عن تلك التي تتوق إليها الذهنية الدنيوية: إنها درب اتضاع الله، تلك المحبة المتواضعة التي جعلته ينحني ويخلي ذاته، ومجده ويختبئ في مذود بيت لحم وفي الصليب على الجلجلة وفي الأخ والأخت الذين يتألمون.

لقد دخل المجوس في السرّ. عبروا من الحسابات البشرية إلى السرّ: فكان هذا ارتدادهم. وارتدادنا؟ لنطلب من الرب أن يمنحنا النعمة لنعيش مسيرة الارتداد التي عاشها المجوس. وإن يدافع عنا ويحررنا من التجارب التي تخفي النجم. وليكن لدينا الهم الدائم بأن نسأل أنفسنا: أين هو النجم؟ عندما – وفي وسط أوهام الدنيا – يغيب عن نظرنا. لتتعلم معرفة سرّ الله بشكل جديد على الدوام وألا تتشكك من "العلامة"، من الإشارة التي اعلتها الملائكة: "طفل مقمط مضجع في مذود" (لو 2، 12)، ولتتحلى بالتواضع لنطلب من الأم، من أمانا، أن ترينا إياه. ولنجد الشجاعة لتحرر من أوهامنا وغرورنا و"أنوارنا"، ونبحث عن هذه الشجاعة في تواضع الإيمان فنتمكن من لقاء النور كما فعل المجوس القديسون. لنتمكن من الدخول في السر. ليكن هكذا!

©جميع الحقوق محفوظة 2015 – حاضرة الفاتيكان